

## المحاضرة السادسة عشر . . . . . آراء العلماء

: للعلماء في طريق معرفة بداية الآية ونهايتها قولان:

القول الأول:

أنه لا سبيل إلى معرفة بدايات الآيات ونهاياتها إلا بتوقيف من الشارع ؛ لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيه وإنما هو محض تعليم وإرشاد من الرسول ﷺ واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١- النصوص الواردة عن الرسول ﷺ بتحديد عدد الآيات في بعض السور أو تحديد مواضعها كقوله عليه الصلاة والسلام عن الفاتحة: "هي السبع المثاني" وقوله ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه". وقوله ﷺ: "تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء". وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة ، مما يدل على أنه لولا أن الرسول هو الذي بين الآيات من حيث بداياتها ونهاياتها لما عرفنا بداية الآيتين في آخر سورة البقرة مثلا ، ولا آية الصيف ولا الآيات السبع في الفاتحة .

### المحكم والمتشابه من القرآن الكريم :

لمحكم والمتشابه نقرأ الآيات الكريمات، قوله تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} (آل عمران:٧) وقوله أيضاً: {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} (هود:١)

و(المحكم) و(المتشابه) لفظان متقابلان، إذا ذُكِرَ أحدهما استدعى الآخر ضرورة. وهما بحثان رئيسان من أبحاث علوم القرآن، أفاض العلماء القول فيهما، وتفاوتت أنظارهم في تعريفهما وحقيقتهما .

و(المحكم) من حيث اللغة، مأخوذ من حَكَمْتُ الدابة وأحكمتها، بمعنى أحكمت وثاقها، ومنعتها من التقلت والهرب. وإحكام الكلام: إتقانه وتمييز الصدق فيه من الكذب .

أما (المحكم) اصطلاحًا، فقد اختلفت أنظار أهل العلم في تعريفه، فقال بعضهم: هو ما عُرفَ المراد منه؛ وقال آخرون: هو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا؛ وعرفه قوم بأنه: ما استقلَّ بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ويمكن إرجاع هذه التعريفات إلى معنى واحد، هو معنى البيان والوضوح .

و(المتشابه) لغة، مأخوذ من الشبه والتشابه، تقول: فلان يشبه فلانًا، أي: يماثله، وله من الصفات ما للآخر. وعلى هذا، فتشابه الكلام تماثله وتناسبه، بحيث يصدّق بعضه بعضاً .

أما تعريف (المتشابه) اصطلاحًا، فعرفه بعضهم بأنه: ما استأثر الله بعلمه، وعرفه آخرون بأنه: ما احتتمل أكثر من وجه، وقال قوم: ما احتاج إلى بيان، برده إلى غيره .

وبناءً على التعريف اللغوي لكلٍ من (المحكم) و(المتشابه) يتضح أنه لا تنافي بين (المحكم) و(المتشابه) من جهة المعنى اللغوي؛ فالقرآن كله محكم، بمعنى أنه متقن غاية الإتقان، وهو كذلك متماثل ومتشابه، بمعنى أنه يصدّق بعضه بعضاً .

ثم إن المتشابه أنواع، فهناك متشابه من جهة اللفظ، وهناك متشابه من جهة المعنى، وهناك متشابه من جهة اللفظ والمعنى معًا. وتفصيل هذه الأنواع باختصار وفق الآتي :

-أن المتشابه من جهة اللفظ هو الذي أصابه الغموض بسبب اللفظ، وهو نوعان :

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة؛ إما لغرابة ذلك اللفظ، كلفظ (الأبّ) في قوله تعالى:

{وفاكهة وأبًا} (عبس: ٣١) ولفظ (الكلالة) في قوله سبحانه: {وإن كان رجل يورث كلالة} (النساء: ١٢) فلفظ (الأبّ) في الآية الأولى، ولفظ (الكلالة) في

الآية الثانية من الألفاظ المتشابهة التي تحتاج إلى بيان وتوضيح. وإما لاشتراك ذلك اللفظ في عدة معان، كلفظ (اليمين) في قوله سبحانه: {فراغ عليهم ضرباً باليمين} (الصافات: ٩٣) أي: فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضارباً لها باليمين من يديه لا بالشمال، أو ضارباً لها ضرباً شديداً بالقوة؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين، أو ضارباً لها بسبب اليمين التي حلفها، ونوه بها القرآن، إذ قال: {وتالله لأكيذن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين} (الأنبياء: ٥٧) كل ذلك جائز، ولفظ (اليمين) مشترك بينها.

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام وتركيبه، من بسط واختصار ونظم؛ نحو قوله تعالى: {وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم} (النساء: ٣) وقوله سبحانه: {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً} (الكهف: ١) ففي الآية الأولى خفاء في المراد، جاء من ناحية إيجاز اللفظ، والأصل: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن، فأنكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء. ومعناه: أنكم إذا تخرجتم من زواج اليتامى؛ مخافة أن تظلموهن، فأمامكم غيرهن، فتزوجوا منهن ما طاب لكم؛ وفي الآية الثانية وقع التشابه في ترتيب الآية ونظمها؛ فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ {قيماً} وما قبله، ومعنى الآية: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً .